وقد رفض الدكتور يهودا مغنيس ، أول رئيس للجامعة العبرية في القدس ، تصور ربين للمصير اليهودي في فلسطين . كما قال الدكتور مغنيس قبيل اعلان قيام اسرائيل : « اذا لم اكن مع اقامة دولة يهودية فالسبب يرجع فقط الى ما قلته وهو : انني لا أريد حربا مع العالم العربي » (٥) . وأدرك مغنيس ، مثله في ذلك مثل ربين ، ان الهدف في خلق دولة يهودية لا يمكن تحقيقه بدون الاضرار بعرب فلسطين . ومثل ربين ايضا ، فهم مغنيس ان المغامرة الصهيونية اليهودية تؤدي الى الحرب . واختار ربين الدولة اليهودية وقبل الحرب ، أما مغنيس فلم يقبل الحرب ورفض الدولة اليهودية . وكما حذر الزعيم الصهيوني المرتد فلاديمير جابوتنسكي منذ العام ١٩٢٢ ، فانه لم تكن هناك امكانية في التوصل الى مساومة (٦) .

وبعد مضي سبع وعشرين سنة شهدت أربع حروب منذ قيام الدولة اليهودية لا تزال الخيارات السياسية أمام اليهود في فلسطين كما كانت بالنسبة الى آرثر ربين ويهودا مغنيس . وان المسائل التي تضطر اليهود الاسرائيليين لتحديد موقفهم تجاه الصهيونية والدولة اليهودية ليست محصورة « بالمسألة العربية » .

وتشهد أوساط اليهود الاسرائيليين ثلاثة انتقادات رئيسية معادية للصهيونية صادرة عن : ١ ــ اليهود المتدينون ٢ ــ اليسار السياسي ٣ ــ معتنقو مبدأ الانسانية أمثال الدكتور مغنيس . وعلى الرغم من أن نسبة المعادين للصهيونية تقدر بما لا يفوق الثمانية بالمئة من يهود اسرائيل ، الا أن هؤلاء يمثلون خمسين بالمئة في النقاش البارز الوحيد في البلاد (٧) .

وقد عارض اليهود الاورثوذكسيون الصهيونية على أسس دينية منذ بدايات الصهيونية في القرن التاسع عشر في كتابات موسى هس وليو بنسكر وتيودور هرتزل (٨) . واليهود المعادون للصهيونية على أسس دينية كانوا يرفضون آنذاك كما يرفضون اليوم الحجة الصهيونية القائلة بأن اليهود يؤلفون أمة . وقد عبّر زعيم ديني يهودي معاد للصهيونية عن رأيه بقوله : « لا يوجد في القانون اليهودي قومية يهودية » .

وقال الحاخام سامسون روفائيل هيرش ، الزعيم الروحي لليهود الاورثوذكسيين في القرن التاسع عشر في فرانكفورت في ألمانية بأن تنشيط الهجرة اليهودية الى فلسطين تنشيطا فعليا يعتبر خطيئة (١٠) . وفي العام ١٨٩٨ كتب حاخام بريسك الاورثوذكسي جورف حاييم سوننفيلد يقول بأن الصهيونيين قد « أعلنوا رأيهم القائل بأن مجمل الفرق والتمييز بين اسرائيل والأمم يكمن في القومية والدم والعرق ، وان الايمان والدين هما أمران لا حاجة لهما ... والدكتور هرتزل ليس قادما من عند الرب بل من جهة الفساد » (١١) . وقد استخدم الحاخام سوننفيلد عادة كلمات « أشرار ووحوش » للدلالة على الصهيونيين (١٢) .

ولا تزال توجد جيوب كبيرة مقاومة للصهيونية مع ان هرتزل والصهيونيين اللاحقين كسبوا جزءا كبيرا من معركتهم في حمل اليهود الاورثوذكسيين على اعتناق الصهيونية ، ومع أن الحزب الديني القومي يمثل جسما مهما من المؤيدين للصهيونية في أوساط اليهود الاورثوذكسيين في اسرائيل . وتحافظ جماعة نتوري كارتا (حراس المدينة) على المقاومة الشرسة الاولى من قبل اليهود الاورثوذكسيين ضد الصهيونية . وتقيم هذه الجماعة في مناطق واسعة في بني براك قرب تل أبيب وحي مي شعاريم في القدس . وقد لخص حاخام نتوري كارتا موشيه ليب ــ هيرش مدى مقاومة طائفته للصهيونية السياسية بقوله : « لن نقبل بدولة صهيونية حتى ولو قبل العرب بها » (١٣) .